

عبد المنعم رمضان

المرّة الأولى التى أغلقت فيها عين البانيو
وملأته بالماء والبخار والصابون السائل
وغطست فيه ، اكتشفت أن العرى علم
إنسانى بغير فقه وبغير شريعة ، وأسدت
جفنى وجازفت فى اتجاه الواضح الواضح

obeikandi.com

يتمنى أن يكون خضياً (*)

لا أحب قصيدته كثيراً . . .

ليس ثمة مشتركات . . تواريخ أو أسماء أو وجوه أو عوالم أو
ذائقة . .

ربما يعشق الشمال . .

الأعين الزرقاء ، والروايات المترجمة ، ولوحات دالي وماجريت
وجريدة النهار ودار توبقال ، وأدونيس ، وقرنفلة سعيد عقل الحمراء .

عبد المنعم رمضان

(خارجي) بامتياز .

شاعر مضاد (للأيديولوجيا) ...

مضاد (للغاية) ، (للوظيفة) ، (للمعنى) ، (للرسالة) ولكل

الجميل المكتملة أو حتى شبه المكتملة . . يسخر من فكرة (الجمهور) . .
من الازدحام العام إلى الرأي العام .

يناهض كل ما هو (قومي) و (عروبي) . . ويتأسى لحركات

الاستقلال (العربية) وضحاياها . . !!

قلت على استحياء على أراك هكنا .. أجاب مؤكداً : تمامًا .. هذا هو

أنا - وذلك مديحي

(*) جريدة أخبار الأدب - القاهرة - ١٢/١٢/٢٠٠٢ م .

عبد المنعم رمضان .

شاعر شائك جداً .. ومركب جداً .. ومتناقض جداً ..

أبادره بالسؤال فيخرج إلى أماكن بعيدة .. أفكار ونظريات
وحكايات وآراء شديدة العمومية ، وأحكام لا يحب أن يذهب إليها كثيراً
.. لكنه يفر من تفاصيل القصيدة والحديث عن شعره وجمالياته .

ولعلها الحيلة .. تلك التي تمنّاها يوماً .. (أن يكون خفياً) .. !

عبد المنعم رمضان .

حاضرة بقوة الموهبة

عميق بقوة الاختلاف .

- دائماً الحكاية .. فى القصيدة وفى الكلام .. هى مرجعية أساسية لديك ؟

أبى كان حكاء ، وكانت شهوته للحكى تزداد اشتعالاً إذا وجد حوله
نساء بصفة خاصة ، وكثيراً ما استمتعت بحكاياته فى وجود هؤلاء النساء
.. لكن الفارق الأساسى بينى وبين أبى إن أبى كان اجتماعياً نشطاً ،
بينما أنا اجتماعى خامل ، ولذلك أصبحت الحكاية ضرورة أكبر منها عند
أبى ، فأنا أستعيز بها عن حوادث كان يجب أن تحدث .. أيضاً كان
أبى تهدهد فكرة الموت .. لكنه ينتصر عليها بالإيمان .. أما أنا فأواجه
الفكرة وليس معى أى سلاح فأصبحت الحكاية ضرورة أكبر .. عنصر
آخر أن الشعر العربى طويل العمر وطويل التقاليد ومستقر ، والإضافة
الكيفية فيه محدودة مهما كانت موهبة صاحبها .. أنا أعى ذلك جيداً ،
وأحتال عليه بمحبة الحكايات .

- الحكاية التى تأتى لذاتها .. لا هدف ولا أمثلة ؟

الفن كله عندى غير غائى ، لا يهدف إلى شىء موجود فى ذاته ، وعندما تظهر غائية الفن بوضوح أشعر أننى أفقده بوضوح أيضاً ، والحكاية عندى كسيل للانتصار على الموت وعلى رسوخ الشعر ، تأتى أيضاً دون غاية وإلا فقدتها قبل أن تبدأ .

- أنت مولع باستخدام الأسماء الحقيقية داخل القصيدة .. محبوبات وصديقات وأصدقاء وشعراء ورسامون .. ما كل هذه الأسماء ولماذا ؟

رغبة أولى ساذجة أنى أحب ذكر الأسماء ، ولكنى أنشئ علاقاتى أو أريد بقصيدتى عندما تقرأ أن تخلق حولها أفقاً موضوعياً إلى حد ما ، أن تصنع مسافة بينها وبين القارئ ، أن تنبه بطريقة المسرح الملحمى قارئها دائماً إلى أن هذا العالم ليس عالمك ، إنه عالم صاحبه وصاحبه لا يحب أن يعبر عنك .. لا يحب أن يكون وكيلاً أو نائباً لأحد مهما كان ، والأسماء تقوم بمهمة زراعة المسافة هذه .. فالأسماء التى أذكرها لا تعنى القارئ .. هى أسماء تخصنى .. ليست رغبة فضائية .. ليست إعلاناً عن محبوبات أو مكروهين .. إنها فقط رغبة زراعة مسافة .

- لكن هناك عديد من الأسماء العامة والمشاركة .. (فى قصيدة بيروت مثلاً ذكرت ٤٠ اسماً لكتاب لبنانيين) ؟

طبعاً أسماء الكتاب بعضها يخصنى ولا أحد يعرفه ، وبعضها من التراث ومن المشاهير المعاصرين والمؤثرين .. لكننى فى كل مرة إنما أحاول أن أجعلها شخصيات أمتلكها أنا ، وليست تلك الشخصيات التى تصلح أن تكون مشتركة بينى وبين قارئ ما .

- هذه المسافة المتعمدة (التغريية) بالمعنى البريختى هل وراء استخدام مفردات مستعارة من عوالم أخرى على الأغلب (الكوخ - الخطاب - الإمبراطور) وجميعها مفردات بعيدة عن الواقع ؟

المسافة بالنسبة لى مبدأ جمالى ضرورى . . فعندما نشاهد لوحة . . إذا اقتربنا منها أكثر مما ينبغى لن نراها ، وإذا ابتعدنا عنها أكثر مما ينبغى أيضاً لن نراها . . نحن مطالبون بضبط المسافة بيننا وبينها ، حتى فى العلاقة مع المؤسسات الثقافية . . أتصور الأمر على الشاكلة ذاتها أن بينى مسافة إذا اتعت ضاع أحدنا وإذا ضاقت ضعت أنا . . الشعر أيضاً كذلك . . ليس هناك موضوع شعرى أو لاشعرى ، ولكنى أعتقد بضبط المسافة بينى وبين ذاتى ، وبين ذاتى وبين موضوعى لأنى إذا اقتربت جداً ضعت كشاعر .

- كيف تقيّم المسافة بينك وبين ذاتك أو بينك وبين موضوعك ، وأنت تستخدم أسماء حقيقية وحكايات وتسج عالماً يخصك بمفردك ؟

أعتقد أن الكاتب عموماً بحاجة إلى تعليم الناس كيف يقرأون ، وأن إحدى أدوات هذا التعليم هو أن يقوم الشاعر أو الكاتب بإيضاح السبل والطرق للدخول إلى عالاه . . أما ذلك التعارض الذى قد يبدو بين المسافة والأسماء والحكايات والأسماء والأنا والذات هى أكثر ما أعرفه فى العالم ، وهى أكثر ما يجدر بى أن أتحدث عنه ، وهى نفسها التى أحب أن يكون بينى وبينها مسافة . . هذا هو موضوعى أن أحول الأنا إلى موضوع بينى وبينه مسافة . . وربما تكون هذه أكثر حيلى .

- وماذا عن المفردات المستعارة ؟

أنا لا أقيم من الواقع حجة على الشعر أو على الفن عموماً . .
أنا أجعل الشعر حجة على الشعر ؛ لأننى أتصور أن الشعر واقع مضاف
لا يشبه الواقع وليس بالضرورة أن يشبهه . . والواقع المضاف قد يلجأ إلى
لغة تظنين أنها غريبة أو تغريب . . العالم غنى بما فيه ، فقير بما فيه والفن
يدفع بالعالم شيئاً ليس فيه .

- لكن الحكايات الكثيرة والأسماء الحقيقية والحسية الساطعة وتفاصيل الحياة
اليومية المعاشة .. كلها مفردات واقعية تماماً ، تنتهى دائماً بتفريغ الواقع
من واقعيته ؟

قلت يوماً إن إيزابيل الليندى الكاتبة الأمريكية اللاتينية عندما جلست
إلى جوار سرير حفيدتها المريضة ، وأخذت تحكى سيرتها الذاتية
بأسرارها وفضائحتها فى كتاب ، تحول إلى فيلم فيما بعد اسمه (بولا) ،
ولكن الفتاة ماتت ؛ أى إن ملاك الموت انتصر على إيزابيل الليندى ،
بينما شهرزاد بحكاياتها الليلية استطاعت أن تهزم ملاك الموت . . كانت
إيزابيل تحكى ما حدث ، تحكى الواقع ، ولذلك لم ينتظر ملاك الموت . .
لكنه عندما استمع إلى شهرزاد أحس أنها تحكى ما لا يعرفه ، فكان
يجلس كل ليلة إلى جوار شهريار ليستمع إلى بقية الحكاية . . لقد انتصر
الخيال على ملاك الموت .

هواء الأيدلوجيا

- تمد البصر دائماً إلى الخارج .. إلى الشمال تحديداً .. تنشر هناك ، تقرأ
شعرك هناك ، تهتم بالترجمات ، بالأسفار ، تسج عوالم وتنتسب إلى
سلالات كلها تسكن بعيداً ... ؟

فى الفترة التى أعقبت إصابتى بما سعى أيامها بالذبحة الصدرية ، ثم ثبت فيما بعد أنه كاذب ، ساعدنى هيرمان همسه على الخروج من مأزقى ، قرأته كاملاً وتوقفت طويلاً أمام سيرته ، واكتشفت أن كل كتبه تعالج الموت ، وأنه لا يحب (الندوات) لأن الحضور إليها دائماً إما شعراء أصدقاء يحبونه أو شعراء أعداء جاءوا للرؤية خيسته ، أو جمهور يتصور أن الشاعر شخص استثنائى ، وجاء ليراه وهو ينكش أنفه مثلاً يعنى وهو ليس استثنائياً .

الندوات فى القاهرة - باستثناء ندوات الأنودى - خالية من الجمهور ، تزدهم فقط إذا كان الشاعر قادراً على توجيه الدعوة إلى أكبر عدد من الأشخاص أو تقديم خدمات فى الحياة العامة . . ما معنى ندوة أدخل إليها وأنا أعرف كل من فيها . . فى الخارج . . فى الشمال . . الندوات لجمهور لا يعرفنى ولا أعرفه على الإطلاق .

- لا أقصد تحديداً غيابك أو حضورك بالندوات . . ما أقصده هو إصرارك على فك الارتباط مع كل ما حولك . . عن إقامتك هناك وليس هنا ؟

دواوينى التى نشرت فى سوريا ولبنان والمغرب ، والتى تتصورين بها أننى أتوجه إلى الشمال . . سأتحيل أننى أنشر دواوينى فى هيئة الكتاب أو المجلس الأعلى للثقافة وقصور الثقافة ، وستقولين إننى عميل للمؤسسة . . إما أن أكون عميلاً للشمال أو عميلاً للمؤسسة .

- كل هذا التوجس لماذا . . أنا لا أقصد العمالة لا للشمال ولا للمؤسسة . . أنا أتكلم فقط عن رغبتك المتواصلة فى الخروج بعيداً عن مكانك ؟

سنعود إلى هواء الأيدلوجيا ونتنفسه بأسف . . منذ فاتحة القرن الماضي ، ربما منذ الحملة الفرنسية . . ربما منذ محمد علي وإسماعيل ، وربما منذ عبد الناصر ، ونحن نفكر في تلك الهوة بين الغرب وبيننا . . نشأت لذلك ثنائيات عديدة منها (الشرق والغرب) (الشمال والجنوب) (الأصالة والمعاصرة) . . ولأن الثنائية أحياناً تكون ضرورية . . إلا أنها عندما تدخل من باب الأيدلوجيا تكون زائفة . . بمعنى أنها ثنائية تعنى تمجيد الواحد مثلاً (الله والشیطان) الشيطان هنا موجود لتمجيد واحدة الله (الشعر والنثر) والنثر هنا لتمجيد عظمة الشعر ، (الشرق والغرب) الغرب هنا لتمجيد عراقة الشرق . . هذه أيدلوجية زائفة لأنها لا تريد أن ترى .

من كل الذين ذكرتهم أصبحت حركات الاستقلال ضرورية برغبة ردم الهوة بين الشرق العريق والغرب الذى يغتصبه . . قامت حركات الاستقلال بالمنطقة . . قام بها شبان ثوريون ، تعلموا ثقافة الغرب وحاولوا إقامة أنظمتهم ببرامج غربية ، وانتهت المسألة إلى فشل ذريع ، أدى إلى ما نحن فيه . . لقد تكفلت حركات الاستقلال بالإطاحة بالقيم الجميلة وإحلال العدم ، فى ظل هذا كان هناك شاعر يرافق ما يحدث ، مسكون بالرغبة والثورة نفسها ، فلما انهزم الثوار على مستوى الواقع ، أصبح الشاعر مطالباً بالأمر مرتين : مرة نيابة عن الشعر ومرة نيابة عن الثوار المهزومين ، فأصبحت أيدلوجية غليظة وزائفة ، وأصبحت كراهية الغرب نشيداً يحبه ضحايا حركات الاستقلال .

- بصفتي إحدى ضحايا حركات الاستقلال .. وبصفتك برئ من هوانها
الفاقد ، أكرر سؤالى عن إصرارك على الانتساب للآخر ؟

كنت أتمنى أن يكون سؤالك صحيحاً فى حالتى . . فأنا لا أمتلك لغة
الغرب . . ومع ذلك لا أنسى أن حسين فوزى (صديقى) وبعده أنسى
الحاج (صديقك !!) حاولا أن يدخلتا تعديلات على عمود اللغة . .
فعلا ذلك بالالتجاء إلى قراءة الآداب والفكر باللغة الأخرى ، وتعطيل
قراءتهم للعربية ؛ حتى يستطيعا هدم ذلك البناء الصارم التاريخى . . إن
الآخر ضرورة لكى تعود إلى ذاتك مغيراً لها ، أما القناء فيساوى إعادة
إنتاجها دائماً .

- وهل تبحث أنت أيضاً .. عن هدم عمود اللغة ؟

اللغة أقدم منا جميعاً . . أنا لا أبحث عن هدمها ، ولكنى أبحث عن
خصوصيتى فيها . . قد يبدو هذا هدماً لأن اللغة تحفل رغماً عنا بأكبر
مساحة من المشترك العام . . الأكيد أننى لست داعية (للتدمير) أو
(الحداثة) ، ولكن الأكيد أيضاً أن البحث عن (الخاص) فيه تدمير
(للعام) ، سواء كان لغة أو تراثاً .

- أقصد كيف كان هدمك وبنائك فى رحلة العلاقة مع (الآخر) ؟

أأخذ على الأيديولوجيا سلطة الواحد . . تلك التى ترتب غياب
التعدد . . الشاعر الناشئ فى إسطبلات الأيديولوجيا لا يبحث إلا عن
شبيه له سواء فى تراثه أو فى تراث الغرب ، لا يقرأ إلا شبيهه حتى حركة
الحداثة الأخيرة ، وقصيدة النثر أصبح شعراؤها الذين تخلل إليهم هواء

الأيدولوجيا - هواء سطوة الواحد - أصبحوا لا يبحثون إلا عن شبيهه ،
وأحياناً ينقادون إلى من يتصورون أنه شبيه .

ما أحاول أن أفعله هو مخاصمة الشبه . . أنا لا أحب قرينى . . أنا
أحب خصمى . . أنت تحبين القرين .

- تخرج دائماً بعيداً عن السؤال ، وتتوجس وتتفعل وأنا أتساءل بوضوح
كيف تبدع خارج شروط الواقع ؟

هذا افتراض نظرى ، فلا يوجد من هو خارج شروط الواقع ، لكن
يوجد من لا يخضع ولا يكون عبداً لهذه الشروط . . يحاول أن يعترض
عليها . . فالشعر ليس فن العبيد .

القارئ يطيح بالجمهور

- أسئلة الواقع تدفع إلى البحث عن (القارئ) الذى فقد اهتمامه
بالقصيدة ، راجع جمهور الشعر وتوزيع كتبه .. ربما يعود ذلك لفقدان
اهتمام الشاعر بالجمهور نفسه .. أنت واحد من الشعراء الذى يعتبر
(الجمهور) فكرة (بذية) ولا يكتب لقارئ محدد .. فمن هو قارئك أو
من هو (الآخر) الذى تخاطبه ؟

نعم فكرة الجمهور فكرة (بذية) لأن الجمهور هو ذلك الكتلة
المنسجمة غير المتفاوتة بشدة ، المسترخية تتلقى كل ما يقال لها بسهولة
عكس القارئ ذلك الشريك الكامل للمبدع .

الجمهور متلقى سلبي ينتج القيم التى يكتبها الشاعر ، وهو سيد
الشاعر لأنه يحكمه . . القارئ ينتظر من الشاعر ما لا يعرف وما لا يتوقع
. . لذلك الجمهور فكرة بذية . . الجمهور قرين عصور انقضت . .

قرين أيديولوجيات يجب أن تنقضى . . بينما القارئ قرين أبدية أمتنى أن
تظل . . وأنا أكتب لقارئ ، وأظن أن الفنون الحديثة قد أطاحت
بالجمهور لحساب القراء ، وأطاحت بالندوات لحساب الحجرات المغلقة .

- ومن هو تحديدًا قارئك ؟

هذا الافتراض الداخلى فى عملية الإنتاج الشعرية ستظل معالمه سرية
وخفية على الشاعر نفسه . . أحيانًا يكون الكشف الكامل نهاية
للقصة . . كشف ملامح القراء نهاية لقصة الكتابة .

- دعنا نقف على أرض .. التهويمات لا أفهمها ..

يحكى سارتر عن رجل كان يعيش مع زوجته ، وقد اعتاد الحياة ،
ولكنها فى اللحظة التى اكتشفت فيها الكلمة اللازمة للتعبير عن
مشاعرهما ، وهى كلمة (لا أحبك) انتهت القصة . . القارئ سر فضحه
فضيحة !!

- هذه معانى صوفية ؟

لا أنكر هذا .

شعر الحجرات

- تحتفى دائمًا بشعر (الحجرات المغلقة) فى مواجهة (شعر الميدان)
وتحتفى (بالشاعر الخاص) فى مواجهة (الشاعر العام) .. مرة أخرى
هى الشائبة التى ترفضها ؟

ذات مرة تكلم فتحى غانم عن نجيب محفوظ . . حكى أنه فى
الخمسينيات كانت روايات محفوظ تبدو وكأنها تقليدية ، تتحدث عن
الفتوات والدراويش والتكايأ والحارات وسيئات السمعة ، وكانت غير

واسعة الانتشار . . فى الوقت ذاته كان إحسان عبد القدوس يرتبط أكثر بقضايا العصر . . يكتب عن حرية المرأة والأندية والبوتيكات والشوارع الواسعة والنساء ذوات القبعات وحريتهن الجنسية . . وكان الأعلى توزيعاً . . المشاهد وقتها كان يظن أن نجيب محفوظ كاتب صغير وإحسان كاتب كبير ، الغريب أن محفوظ لم يغير مساره ليتهى الأمر بزوال إحسان عبد القدوس وبقاء كثيف لنجيب محفوظ .

إذا لتخلص من الشعارات الأيديولوجية . . حدانة إحسان أيضاً كانت شعاراً أيديولوجياً . .

صراع الكاتب الأكبر ليس أن يكون داخل مكانه وزمانه فقط ، ولكن أن يتطوع العبور خارج مكانه وزمانه . . معظم ثنائياتنا هذه نشأت بدافع التمرد ، وليس بدافع الفهم ، وعندما أتحدث عن (الشاعر الخاص) فى مواجهة (الشاعر العام) وعن (قصيدة الغرفة) فى مواجهة (قصيدة الميدان) لا أفكر فى أننى بهذه الصيغ أحاول أن أكون حديثاً . . أفكر فقط فى أننى أحاول أن أكون نفسى .

– كيف تكون نفسك فى مثل هذه الصيغ ؟

لنفض بعض الالتباس . . سنضع عدة محاذير أن الشاعر العام ليس أقل أو أعلى من الشاعر الخاص . . إن الشاعر العام ليس ذلك الشاعر الذى يكتب عن الوطن والبندقية والاستعمار ، وإن الشاعر الخاص ليس الذى يكتب عن الحب والوردة والمرأة . . فالخاص والعام لا يتحدد بالموضوع . . نزار شاعر عام بامتياز ، وهو شاعر الوردة والمرأة وقصيدة (الولايات المتحدة الأمريكية) لنزيه أبو عفش شعر خاص بامتياز برغم

موضوعه العام . . أيضاً لأن فكرة النقاء مستحيلة فلا يوجد شاعر عام
تماماً أو خاص تماماً .

بعد ذلك أتصور أن الشاعر العام يتحقق حضوره بزيادة مساحة
الاتفاقات الضمنية والصريحة بينه وبين قرائه ، على مستوى اللغة
والمجاز والرؤية والصوت والفكر . . وأن الشاعر الخاص يتحقق بتقليل
مساحة الاتفاق الضمني بينه وبين قرائه إلى أقصى حد ممكن .

- أيضاً الشاعر الخاص وفقاً لتصورك لا يعرف قارئه .. لا يستطيع تحديده ؟
هذه إضافة جميلة . . الشاعر العام يعرف قراءه تماماً ، وبالتالي يعرف
الاتفاقات الضمنية . . فما يترتب عليه بين الشعراء العامين يمكن انتخاب
شاعر أكثر تعبيراً عن جمهوره ليصبح الشاعر الأول . . فى الشاعر
الخاص ، لا تصلح الانتخابات فلا يوجد شاعر خاص بديلاً عن شاعر
خاص آخر . حالة الانتخاب فى الشعر العام تؤدي إلى بروز النجوم ،
فيكون أحمد شوقي صلاح عبد الصبور ، محمود درويش ، الأبنودى .

- وفى الشعر الخاص ؟

يكون أنسى الحاج ، وديع سعادة ، حلمى سالم ، نزيه أبو عفش . .
هؤلاء الشعراء أحياناً لا يحملون طيبة شعرهم ، فينهزمون كثيراً إما
لحساب الشعر العام أو ينهزموا ويتوقفوا .

- مثل من انهزم أو توقف ؟

صمت أنسى الحاج مثلاً هو هزيمة للشعر الخاص .

- نفهم من ذلك أن الشاعر العام أيديولوجي بالضرورة ؟

لنعرف أولاً (الأيديولوجيا) تعريفاً بسيطاً . . إنها إسقاط نتائج العقلانية العلمية التي نادى بها ديكارت لفحص المادة . . إسقاطها على مختلف أبواب الفكر البشري والأخلاق واللاهوت والشعر ، بمعنى أنها تصبح محكومة بمعايير الخطأ والصواب . . لهذا أحاول إبعاد الشعر عن الأيديولوجيا .

الشاعر العام قد يكون أيديولوجياً . . مثل سميح القاسم وتوفيق زياد وعبد الوهاب البياتي وأحمد فؤاد نجم . . وقد يكونون بعيداً عنها مثل أدونيس وصلاح عبد الصبور وسعدى يوسف ومحمود درويش .
- أدونيس شاعر عام ؟!

لا نندهش . . فهؤلاء طبعة متقدمة وعالية للشاعر العام . . صحيح أن أدونيس واقعة متعددة . . إنه حالة التباس دائم .
- الالتباس يشملك أيضاً - علاقتك بأدونيس .. اقترابك الشديد منه يضعك في الاتهام ؟

هو واحد من أهم شعراء السلالة التي أحبتها ، معه آخرون مثل أنسى الحاج ، محمود حسن إسماعيل ، يوسف الخال وسعدى يوسف وسعيد عقل . . جميع الشعراء يخافون من أدونيس ومن اسمه الكبير . . تصورت دائماً أن نضجى يمكن أن يرتبط بحالة عدم الخوف من أدونيس ومن اسمه ، مهما كانت النتائج .

العزلة والاعتزال

- أنت قليل الكتابة (٤ دواوين فى ٣٠ عاماً !) هل القصيدة مستعصية إلى هذا الحد .. أم أنك تحجب الكثير وتمزق القصائد قبل النشر ؟

أنا فعلاً مقل لأننى أشك كثيراً فى بعض ما أكتبه فأتخلص منه . . أو أفقد الحماسة كثيراً فلا أستجيب للكتابة . . وأحياناً أنظر إلى وجه الشعر الحديث فأنزعج وأراه دميماً وأخشى أن أكون من صناع الدمامة !
- ربما أيضاً تكون الرغبة فى العزلة والابتعاد ؟

أوافق تماماً . . لم أستطع أن أكون من أحب أبدأ . . تمنيت أن أكون (صوفياً) ولم أستطع ، وتمنيت أن أكون (معتزلاً) وأن أكون (خفياً) . . لا أحب مثلاً الكلام عن شعرى . . فى أحيان كثيرة أيضاً أرى أنه من الضرورى أن أتكلم . . شعرى كأنه معى حكاية مألوفة ، أصبحت أعرف جميع خفاياها ولذلك لا أحب أن أعيد العلاقة معها . . قراءة قصيدة لى تبدو لى كفعل (تذكر) لا فعل (وجود) . . كتابة القصيدة فقط هى فعل الوجود الأصلى . . هذه أمراضى ولا أريد أن أعالجها .

- لذلك ترفض (التجربة الحياتية) محتجاً بالعزلة ؟

أنا أفصل بين الأدب والوسط الأدبى . . الاعتزال هو اعتزال الوسط الأدبى . . فى أغلب أحوالنا يوجد الأديب لأنه فى الوسط الأدبى وليس لأنه يكتب أدباً . . أما التجربة الحياتية فهى كلمة (مشبوهة) أخرى . . إنها إحدى سوءات الأيديولوجيا بطرائق مختلفة ، الثقافة فعل مكتسب جهد مبذول للفهم ومعرفة . . بالنسبة لى معرفة الفن هى معرفة أصوله وأشكاله المختلفة ، أما (ثقافة الحياة) أو ثقافة التجربة (الحياتية) فليس سوى تبرير يقوم به الجهلة لجهلهم !!

- تبدو خارجاً من الأوراق والكتب .. هل هي المسافة ؟!

ليتني كنت كذلك حتى أصاحب بورخيس واليوت وجويس وبروست
وصلاح عبد الصبور وأدونيس وأنسى الحاج وحسن طلب !

لعبة البناء

- كمن يعمل بمنهجية مضادة .. مفردات واقعية لتغيب الواقع .. تعتمد
الموسيقى بالقصيدة ثم تخفيها .. تجابه الشعرية بمراوغة النثر ؟

أنا مأخوذ في الفن بفكرة البناء أو المعمار .. ولهذا أبدو قديماً لدى
أصحاب الحداثة أو ما بعد الحداثة ، وهذا لا يعني .. ما أتصوره أن
الكاتب هو من يعمل من أجل أن يكون كاتباً أى الإمام والانشغال
والمعرفة بهذا الفن .. قليلون من الروائيين فى مصر من يفكرون فى
المعمار ولهذا تبدو رواياتهم قديمة وركيكة .

فى شعري أنا أفكر فى (المعمار) كثيراً وأفكر فى إخفائه .. إن سر
الفن هو إخفاء لعبة البناء .. والخفاء هنا لا يعنى الخفاء المظلم الذى
لا يسمح بدخول القارئ .. أتذكر حالة صديقى محمد عيد إبراهيم ،
الذى أظن دائماً أنه أفضل شعراء جيلى ، فى محاولة إقامة علاقات شاذة
ومحرمة بين المفردات لتبدو علاقات جميلة ، ولكنه فشل فى أن يرقى
بقدراته هذه إلى مستوى بناء النص .. إنشائه ومعماراه !

وهنا أحب أن أسجل ملاحظة أخالف فيها حلمى سالم ، وهى أن
محمد عيد هو المخلص الأول فى جيلنا لقصيدة النثر .. سبق حلمى
وأوجد وسبق الجميع .. ولأمانة أيضاً أسجل إنه نافع جداً للشعراء ، إذا
تأملوا طريقته فى إنشاء العلاقات الشاذة بين الكلمات .

- تبذل مجهوداً لتأكيد خدمات وآليات عمل قصيدة انتهت دائماً إلى خيبات ؟

حتى يحى حقى انشغل بالناس الذين فى الظل ؛ ليتمكن من رؤية الناس الذين فى النور .

- لنشرك خصوصية .. أحياناً تخفى به شاعرية باستعارة شكل قصيدة النثر داخل قصيدة موزونة ، وأحياناً بتأكيد هذه الشاعرية فى نثر جميل هو إبداع مضاف - ما سر الحفاوة بالنثر ؟

انتهيت مبكراً إلى أن الشعراء المصريين لا يحتفلون بالنثر ويتعاملون معه وكأنه أداة توصيل لأفكارهم ورؤاهم .. وعلى الرغم من أنهم مبدعون شعراء ، وغير مبدعين فكرياً غالباً .. فقد بدا لى أن تعاملهم هذا مع النثر وكأنه ادعاء سمج .. وانتهيت مبكراً إلى أن تاريخ الأدب العربى كان الشعر فيه يقف تحت الضوء دائماً أى كان محكوماً وغير طليق .. وكان النثر يعيش حرية الكاملة لأنه يعيش فى الظلام .. نثر العرب أكثر حرية من شعرهم .. انظر إلى كتابات الصوفيين .. وانتهيت أخيراً إلى أن تمجيدى للنثر هو تمجيد لأمى .

- ولهذا كتبت قصيدة النثر ؟

لست حريصاً على أى شكل ، قصيدة النثر عندى آلة لا تتفوق ولا تقل عن كل آلة غيرها .. قصيدة النثر عندى ليست إمارة على الحداثة والقداية .. الحداثة تعيش فى مكان آخر .. الأيديولوجيون هم الذين يربطون الحداثة بقصيدة النثر فقط .

- الخروج الدائم وكسر التابو (الدينى والجسدى تحديداً) فأنت لا تخرج سياسياً بالقصيدة ..

ربما لأن ذلك يتطلب ضريبة فادحة .

- تماماً أو لأن السياسة تضعك مباشرة فى الأيديولوجيا الساطعة .. عموماً الخروج على المقدس هو أحد ملامح القصيدة عندك .. بينما أنت على مستوى الواقع ملتزم - بقناعة - كيف تناقضت وقصيدتك ؟

قلت من قبل إننى لا أنشد محض التمرد ، وإننى أنشد نفسى ، وقلت إننى أخاف الموت وأستعين عليه بالحكايات ، وهرمان هسه وصورة أبى وأستعين عليه أيضاً (بالجسد) . . ذلك البنيان الذى تقع عليه أفعال الصيرورة . . تجاعيد وكرمشات وشعرات بيضاء وذاكرة تتخبط وفتوة نشعر بضياعها . . أحياناً الجسد . . هذا الجميل يؤول إلى العطب ، وأنا أريد أن أصطاده قبل أن يؤول إلى العطب . . إنها كتابة ليست لفصح الجسد وليست للتمرد والخروج وكسر التابو ، ولكن لتمجيد الجسد ، لترسم له صورة باقية . . إنها أشبه بكتابة وثيقة عن الجسد قبل أن يفنى .

ومع الجسد تأتى تلك الذخيرة الكبيرة من الأخلاق الراضية والعاصية، المقبولة والمرفوضة . . وراءها جيش من الملائكة وفوقهم جميعاً يظهر الله الذى أحب أن أصحابه فى الأسواق ، وأن جعله يرى فتاتى . . الله الطيب سيد عزرائيل وحاكمه ، والذى بصحبتى له قد يتركنى بعض الوقت وقد يبعد عنى عزرائيل .

إنها معركتى الدائمة مع الموت . . أعلن أننى سأنهزم فى النهاية . . لكنى أتناسى .

وكما أن الواقع ليس حجة على الأدب ، فحياة الأديب أيضاً ليست حجة عليه . . حياة الأديب مفردات متاحة ، وأدبه مفردات مأمول فيها ، حياة الأديب هي غرفته الضيقة وأدبه هو كل ما يعيش خارج الغرفة . . هي ذلك الأفق الذى يحلم به السجين داخل غرفته .

- أنت قانع بالسجن وسعيد بالغرفة الضيقة . . وانت أيضاً قانع وسعيد بالخروج عليهما ؟

لا أنكر التناقض ، وأتصور أننا لا يجب علينا إنكار تناقضاتنا . . يجب علينا معرفتها وربما الصلح معها . . أنا متناقض ، ليس فى هذا الأمر فقط . . أنا متناقض فى أمور كثيرة . . أحب أحمد عبد المعطى حجازى وأهاجمه . . أشعر أن المتنبي كبير الشعراء العرب هو أكثر المعبرين عن الوضوح وعدم الخفاء ، وكل ما أتصور أنى أرفضه وأحبه . . أحب مشروع صلاح عبد الصبور . . برنامج الشعرى وأتحفظ على شعره كافة . . أعيد إنتاج بعض جوانب حياة أبى ، بينما أحب أمى أكثر ولا أعيد إنتاجها .

- أظنك تكتب قصيدة واحدة بتعبير كاتب ياسين ؟

سئل الكاتب الأمريكى نورمان ميللر عن أدب الشباب ، فاعترف أنه يقرأه ، ليس تعالياً ولكن لأن للشباب همومهم الجديدة ، والتى يجب ألا تشغله عن همه الذى اكتشفه . . أظن أن تعب الأديب وكده وجهده هو فى تعرف سؤاله . . والترددات الكثيرة بين أشكال كثيرة . . وموضوعات كثيرة ليست إمارة غنى ، وإنما إمارة عدم اهتمام إلى السؤال العام .

أخشى أن أكون مغترّاً . . إنى اهتديت إلى السؤال . . أخشى أن
أكتشف فيما بعد إنه ليس هو ، ولكنى على الأقل أفكر بهذه الطريقة .

هذا هو فأسى . . لم أبدد جهدى فى تجريف أراض كثيرة وإصلاحها ،
سأسعى دائماً لتعميق الحفرة التى بحجم جسمى . . حفرتى الآن التى
فيها معاشى . . وفيها فيما بعد مماتى .

- ما سؤالك ؟

هو تلك الطريقة فى رؤية العالم . . تلك الطريقة فى رؤية الشعر . .
فى التعامل مع التاريخ - أيضاً أريد أن أصحح أمراً أن الانتقالات
والفجوات ، وحركة الشاعر ليست تلك الانتقالات فى موضوعاته ،
ولكنه فى (آلة النظر) ، وهذا غالباً ما يكون قليلاً عند كل الشعراء أن
اكتشافات الشاعر قليلة وعليه تعميقها .

* * *

obeikandi.com

تكفير قصيدة النثر

بينما حمت قضاياها فى عديد من البلدان ، لاتزال قصيدة النثر فى مصر تبحث عن شرعية الاعتراف بها ، بل تبحث عن فرصة للتعبير عن نفسها واختبار مساراتها . . ولاتزال متهمه بالركاكة والرداءة والخروج عن الشعرية والخروج عن الكتابة والقيم الجمالية والخروج حتى عن العرف والأخلاق . . وأظن أن الكثرة (الرديئة) التى تسم كتابة قصيدة النثر هى أول الأسباب وراء إنكارها ، وأظن أيضاً أن (التشابه) بين النصوص التى تنطق بالمفردات والتراكيب والرؤى ذاتها - حتى يمكننا قراءة نص واحد نيابة عن كل النصوص الأخرى - هو أيضاً أحد أسباب إنكارها (*) .

صحيح إن تقييم القصيدة ليس حكماً إقليمياً يضيق بحدود الجغرافيا ، دون قدرة على أن يمد بصره بعيداً إلى وطن أكثر رحابة وأوسع مدى . . يكفى أن نقرأ فيه محمد الماغوط وسركون بولس وأنسى الحاج ووديع سعادة وعباس بيضون ؛ لنشعر بقوة حضور قصيدة النثر ونضارتها . . لكن هواء الغرفة الخانق والمختنق قد يحجب إمكانية الرؤية ؛ خاصة وأن قصائد هؤلاء الشعراء المذكورين غير متاح تداولها ، داخل ثقافة مصرية مكتفية بذاتها إلى حد كبير ، دون قدرة على ممارسة (قوميتها) من جانب (وحريتها) فى تبادل الحوار ، والانفتاح على الآخر من جانب آخر .

(*) جريدة أخبار الأدب - القاهرة - ١٧ / ٥ / ٢٠٠١ م .

وصحيح أيضاً أن الهبوط عام وشمل ، لدى كثير من الشعر العمودى وشعر التفعيلة وقصائد النثر يتسم فى غالبيته بالرداءة . . اختفت الاستثناءات بعدما اختفت البطولة والفرادة ، وفرضت المشابهة ذاتها على الغالبية . . وإن امتلكت قصيدة التفعيلة والقصيدة العمودية إرثاً وتاريخاً جمالياً وعناوين ومواقع مختلفة فى المدارس والجامعات والمعاهد تكفى لحماية سلطتها وفرض سطوتها ، وهو ما لم تمتلكه بعد قصيدة النثر .

ومن ذلك الواقع الشعرى البائس ، الباحث لا يزال عن موضع لخطواته . . صاغ أحمد عبد المعطى حجازى أسئلته الحادة حول قصيدة النثر ، والتى نشرها على مدى شهرين ماضيين فى مقالاته الأسبوعية بجريدة الأهرام . . وإذا كان حجازى قد جابه (قصيدة النثر) بصورة مطلقة دون أن يسمى شعراءها أو يجابهه نصوصها الرديئة ، فهو ما نختلف فيه معه ، متوقفين فقط أمام نصوص الشعراء فى محدوديتها وعجزها عن طرح تغير حقيقى على جوهر الإبداع .

ومثلما يكون التعامل مع (الشكل) دون حاجة حقيقية أو ضرورة اجتماعية وفكرية يفرضها الواقع ، محض مغامرة مجانية . . فإن التنديد بالشكل أيضاً يظل موقفاً فيه كثير من التعصب والعصية .

فى مواجهة حجازى ، كان عنف الشعراء من كتاب قصيدة النثر يعكس خطورة القضية ويؤكد قيمة من تصدى لها ، ويكشف فى الوقت نفسه مساحات للاختلاف بما يمنح السجال حيوية وعمقاً .

يكشف السجال عن عنف اللغة المستخدمة ودرجة حدتها ، بما يحيل الحوار إلى تراشق وعدوانية ، بل ودعوة إلى السكوت وأحياناً إلى الحرق وهو ما يتناقض وطبيعة الحوار نفسه من حيث إقصائه للآخر ونفيه .

ويكشف السجال أيضاً عن أصحاب التراشق وغالبيتهم من الشعراء ، فيما يعكس بالضرورة رؤى منحازة وأحكاماً مجروحة بذائقة أصحابها وهواهم وموقف قصيدتهم . . واللافت أن السجال فى معظمه متبادل بين حجازى وشعراء السبعينيات ، الذين انتقل كثيرون منهم فى نوع من الهجرة الجماعية من قصيدة التفعيلة إلى قصيدة النثر ، دون أن ندرك معنى خطواتهم وأسبابها ، ودون أن ندرك ملامح التغيير الذى أحدثوه داخل قصائدهم وفى جوهر إبداعهم .

وبديهى إن الانتقال من شكل إلى آخر حرية يمتلكها الجميع . . فعلها من قبل شعراء التفعيلة متقلين من شعر العمود إلى التفعيلة ، ومن التفعيلة إلى النثر ، وفعلها شعراء العمود بالانتقال من الفصحى إلى العامية ومن العامية إلى الفصحى ، لكن السؤال الأهم : لماذا يتقل الشعراء ؟ أية ضرورة ؟ وأية إضافة ؟

فى تغيير (الشكل) خروج مؤكد عن الثابت والراسخ والمحتقر ، بل خروج مؤكد عن كل الرؤى الميتافيزيقية المدافعة عن ثبات الجوهر واستقراره ، وهو ما يعنى تغييراً جذرياً فى جوهر الإبداع .

ونتساءل : هل كان خروج الشعراء إلى قصيدة النثر تعبيراً عن رؤى فلسفية وحاجة اجتماعية وتغير جذرى وحقيقى لجوهر الإبداع ؟
أشك كثيراً !

السجال الدائر لا يزال بين حجازى وشعراء السبعينيات مرة بسبب كثرة تلميحات حجازى الانتقادية حولهم ، ومرة أخرى بسبب رغبتهم فى الخروج عليه ومنازلته وتأكيد اختلافهم عنه . . أما شباب الشعراء ، أصحاب قصيدة النثر الخارجين على التقاليد والأعراف الجمالية واللغة

والموسيقى والمجاز وكل شئ حولهم ، دون قدرة على إدخال الفكرة فى التجربة الجمالية . . فهم فى الأغلب صامتون ، غير قادرين عن الدفاع عن قصيدتهم شأنهم دائماً فى كل القضايا والمواقف ، بما يدفع البعض إلى نفيتهم خارج الشعر ، ويدفع البعض الآخر إلى التحدث باسمهم والوكالة عنهم . . أو بتعبير أحد شعراء السبعينيات . . هناك (أصحاب القضية) . . وهناك (المتكلمون فيها) . . !

وبرغم دعاوى البعض فى مجابهة (حجازى) بالسلفية والمحافظة . . فإن السجال الدائر حالياً هو جزء من حيوية الحركة الشعرية ، وهو سجال - ولا شك - بين جناحين فى التيار الأكثر استنارة فى حركة الشعر الحديث ، ولعل ذلك ما أثار شهية التيارات الأكثر رجعية وتقليدية فى الشعر لإعلان شماتها .

وأخبار الأدب « تشارك فى السجال المفتوح بحيوية على الواقع ، منحازة إلى حرية طرح السؤال ، وإعادة النظر ومنحازة إلى كافة الأشكال الجمالية بمعيار الإبداع وحده . . وإن كانت تعطى مساحتها الأكبر لأصحاب (قصيدة النثر) فذلك دفاعاً عن حقهم فى التعبير ؛ خاصة وأن كثيرين منهم لا يمتلكون المنابر ، التى يعلنون من خلالها رؤاهم وأفكارهم ، ولا يمتلكون الرقعة التى يضعون فوقها أعلامهم أو حتى يمكنهم المحاربة عليها .

* * *